# الـوحـدة رقــم 20
# التوعية من أجل التمكين
# بعض التأملات

## الغرض من الوحدة رقم 20

الغرض من هذه الوحدة هو إلقاء نظرة على تأثير التوعية على إعمال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتقديم بعض المقترحات بخصوص برامج التوعية الهادفة لإعمال هذه الحقوق.

***هذه الوحدة:***

- تلقي الضوء على الدور الذي يمكن للتوعية أن تلعبه في تقويض كرامة الإنسان أو في تعزيزها؛
- تحدد عناصر عملية ممارسة التوعية وفقا للمنظور حقوقي؛
- تقترح بعض الطرق المبتكرة لتنفيذ برنامج للتوعية بحقوق الإنسان.

## مـقــدمــة

نظراً للأهمية البالغة لحقوق الإنسان فقد أُطلقت مبادرات عديدة لإشاعة مفهوم ومبادئ حقوق الإنسان على نطاق واسع. ومن هذه المبادرات ما قامت به الأمم المتحدة عندما قررت جعل الفترة الممتدة من عام 1995 إلى عام 2004 عقد الأمم المتحدة للتثقيف في مجال حقوق الإنسان. وتتضمن المبادرات الأخرى وضع الحكومات لخطط عمل وطنية للتثقيف في مجال حقوق الإنسان، وتنظيم الجماعات المحلية غير الحكومية برامج للتوعية بحقوق الإنسان، وبالإضافة إلى ذلك، تجري المنظمات والجماعات التي تعمل من أجل قطاعات أو قضايا معينة – مثل جماعات حقوق الطفل وجماعات المرأة والنقابات – برامج للتوعية بصورة منتظمة. وتساعد هذه المبادرات على إشاعة فكرة حقوق الإنسان، وتسهم في رفع الوعي بلغة حقوق الإنسان وإكسابها المزيد من الشرعية. وفضلاً عن ذلك. وكجزء من ذلك الاهتمام يجري إنتاج كمية ضخمة من مواد التدريس والتوعية لاستخدامها في برامج التوعية بحقوق الإنسان. وبعض هذه المواد تستند إلى المبدأ القائل بأن التوعية بحقوق الإنسان يجب أن تسعي إلى تمكين الأفراد والجماعات.[1]

وتركز هذه الوحدة على حاجة الدعاة إلى بحث مفهوم التوعية بحثاً نقدياً وخصوصاً التوعية بحقوق الإنسان؛ فالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في آخر الأمر يناصرها أولئك المحرومون من التمتع بها. وعلى الدعاة أن يدركوا أن ما يقومون به من خلال برامج التوعية لا يتعدى تسهيل عملية التمكين من إعمال هذه الحقوق؛ وتقدم هذه الوحدة بعض الأفكار التي يمكن استخدامها بما ينعكس على التوعية من أجل التمكين.

## ماذا تعلمت في المدرسة اليوم؟

ماذا تعلمت في المدرسة اليوم،
يا صغيري العزيز؟
ماذا تعلمت في المدرسة اليوم،
يا صغيري العزيز؟

تعلمت أن واشنطن لم يكذب أبداً،
وأن الجنود نادراً ما يموتون.
تعلمت أن كل إنسان حر،
هذا ما قاله لي المعلم،
وهذا ما تعلمته في المدرسة اليوم،
هذا ما تعلمته في المدرسة.

ماذا تعلمت في المدرسة اليوم،
يا صغيري العزيز؟
ماذا تعلمت في المدرسة اليوم،
يا صغيري العزيز؟

تعلمت أن رجال الشرطة هم أصدقائي،
تعلمت أن العدل لا ينتهي أبداً،
تعلمت أن القتلة يموتون جزاء جرائمهم،
حتى لو أخطأنا أحياناً،
وهذا ما تعلمته في المدرسة اليوم،
هذا ما تعلمته في المدرسة.

ماذا تعلمت في المدرسة اليوم،
يا صغيري العزيز؟
ماذا تعلمت في المدرسة اليوم،
يا صغيري العزيز؟

تعلمت أن حكومتنا يجب أن تكون قوية،
وأنها دائماً على حق ولا تخطئ،
وأن قادتنا هم خير الرجال،
وأننا ننتخبهم مرة تلو المرة،
وهذا ما تعلمته في المدرسة اليوم،
هذا ما تعلمته في المدرسة.

ماذا تعلمت في المدرسة اليوم،
يا صغيري العزيز؟
ماذا تعلمت في المدرسة اليوم،
يا صغيري العزيز؟

تعلمت أن الحرب ليست شراً مبرماً،
تعلمت أشياء عن عظمائنا،
أننا حاربنا في ألمانيا وفي فرنسا،
وذات يوم ستأتيني فرصتي،
وهذا ما تعلمته في المدرسة اليوم،
هذا ما تعلمته في المدرسة.[3]

## التوعية بحقوق الإنسان

التوعية بحقوق الإنسان هي عملية اكتساب المعلومات والمهارات والقيم ذات الصلة من أجل التعرف على ما للمرء من حقوق وتأكيدها وإثبات أحقيته بها استناداً إلى المعايير الدولية الخاصة بحقوق الإنسان. ويوحي هذا التعريف بأن حقوق الإنسان أحد أدوات التمكين؛ ومن ثم فإن التوعية بحقوق الإنسان بطبيعتها يجب أن تمثل تدخلاً إيجابياً في حياة الأفراد. وكما أشرنا سابقاً، فهناك بعض الجهود التي تبذل للتوعية بحقوق الإنسان على أساس مبدأي المشاركة والتمكين.[2] ولكن في أغلب الأحوال، نجد أن البرامج التي تجريها الحكومات والوكالات الدولية تقوم على افتراض أن نشر المعلومات عن معايير حقوق الإنسان هو غاية في حد ذاتها، فيُنظر إلى التوعية بحقوق الإنسان على أنها بلسم شاف لكل المشاكل المتعلقة بحقوق الإنسان في مختلف المجتمعات. إن إتاحة المزيد من المعلومات عن حقوق الإنسان يمثل بالطبع نتيجة إيجابية لهذا النهج. لكن التوعية بحقوق الإنسان كثيراً ما تستخدم في مثل هذه السياقات كذريعة لتفادي التعرض للعوامل الهيكلية الكامنة وراء مشاكل حقوق الإنسان.

وغالبا ما يفتقد أنصار التوعية بحقوق الإنسان وجود حوار حول مناهج التوعية. فالتوعية بحقوق الإنسان مجال جديد نسبياً، ظهر كنتيجة لما لقيته حقوق الإنسان من اهتمام متزايد في العقود القليلة الماضية، كما أصبحت التوعية بحقوق الإنسان عموماً بمثابة إيمان راسخ، مما أدى إلى ندرة الحوار حول معنى التوعية في حد ذاتها.

### *التوعية ليست نشطاً محايداً*

تلتحم التوعية مع الإعداد لأشكال معينة من أشكال الحياة الاجتماعية وإضفاء المشروعية عليها.[4] وتعكس الأغنية الشعبية السابقة، التي شاعت في الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات من القرن العشرين، تجسيدا جيدا لفكرة كون التوعية جزءًا من العمليات الاجتماعية.

ومن المهم أن نبدأ هنا بمناقشة حول ممارسة التوعية باعتبارها شكلاً من أشكال "السياسات الثقافية". لنأخذ مثلاً قضية الإلمام بالقراءة والكتابة، حيث يعتبر الإلمام بهما ضروريا ولازما لتمكين الفرد من أن يؤدي دوره على نحو كامل في مجتمعه. في أحيان كثيرة نجد أن الإلمام بالقراءة والكتابة المرتبط بتعدد المهارات والمعارف يختزل في القدرة على القراءة والكتابة باللغة الرسمية للدولة. وقد نشأ هذا المفهوم عن الإلمام بالقراءة والكتابة في القرنين الأخيرين مع نشأة الدولة القومية، وانتشار التصنيع والتعليم المدرسي الواسع، وأدت هذه العملية إلى تقويض المفهوم التعددي الذي يقبل بأن يكون للفرد معارف ومهارات أخرى حتى لو لم يستطع القراءة والكتابة. كما أصبح الإلمام بالقراءة والكتابة والتعليم المدرسي والتعليم عموماً أموراً ترتبط بفكرة مسؤولية الفرد والرفاهية الاقتصادية، وصار الأميون ينظر إليهم على أنهم حاملي "آفات المجتمع".[5]

ولكن بدلاً من إنكار الطاقات البشرية أو إضعافها أو تشويهها على النحو السابق، يمكن أن تؤدي ممارسة التوعية إلى العكس من ذلك بأن تسهم في تجسيد العديد من الطاقات البشرية المتنوعة. فبتشجيعها على تطوير الطاقات والقدرات يمكنها أن توسع من معنى إنسانية المرء. وهكذا يمكن أن تصبح التوعية عملية تمكين، وينبغي لها أن تكون كذلك، بمعنى أنها تمكّن من يعيشون مهمشين في القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية من أن يطالبوا بوضع لائق بهم باعتبارهم أفراداً يشاركون مشاركة كاملة في المجتمع.

## التدخل في القضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية – مسألة الإدراك

عند التعامل مع القضايا المتعلقة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، يجب أن يعي الدعاة أن شكل التحرك الذي يمكن أن يقوموا به يتحدد بطبيعة إدراكهم لقضية ما من تلك القضايا، والأفراد الذين تؤثر عليهم. ويبين الشكل التالي كيف يؤثر الإدراك على تحديد نوعية التدخل المختار للتعامل مع المشاكل الاجتماعية والاقتصادية.(6)

يتبين من الجدول التالي أن نوعية التدخل المختار للتعامل مع القضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية يحدد أيضاً طبيعة ممارسة التوعية. فمثلاً، قد يؤدي المنهج القائم على أعمال الإغاثة والأعمال الخيرية غالباً إلى ممارسة التوعية الموجهة من القمة إلى القاعدة. كما يمكن أن تؤدي أنشطة توليد الدخل وتوفير الخدمات إلى التعليم الفني أو التعليم الممتد.

أما النهج الحقوقي فيتطلب ممارسة التوعية بما يشجع على تحديد القضية والإجراءات المطلوبة لعلاجها بأسلوب قائم على المشاركة.

**خمسة طرق للتعامل مع الفقر**

| السبب المحدد (الإدراك) | التدخل |
|---|---|
| ظروف خارجة عن سيطرة الأفراد (كارثة طبيعية أو سوء الحظ) | تخفيف المعاناة المباشرة من خلال الإغاثة والأعمال الخيرية |
| نقص التوعية والحافز لدى الأفراد؛ وانخفاض مستوى الموارد | رفع الإنتاج من خلال توفير التوعية المهنية وأنشطة توليد الدخل والمدخرات والائتمان |
| سوء أداء الخدمات الصحية والتعليمية والزراعية أو عدم توصيلها لمستحقيها | تحسين أداء البرامج القائمة وتقديم خدمات بديلة مثل الرعاية الصحية والمشورة القانونية وإنشاء لجان للمواطنين لدعم توصيل الخدمات لمستحقيها |
| الاستغلال والظلم | القضاء على الاستغلال وصور الظلم عن طريق التعبئة (من خلال الأحزاب السياسية والحركات وبرامج رفع الوعي) |
| مشاكل بنيوية (هياكل ظالمة) | إنشاء هياكل اقتصادية وسياسية وقانونية وتعليمية جديدة من خلال برامج التعبئة وشحذ الحس الضميري بالإضافة إلى تصميم أشكال جديدة من أشكال التوعية |

## بعض عناصر ممارسة التوعية وفقا للنهج الحقوقي

الأفراد هم أغنى مصدر من مصادر التعلم

يجمع الأفراد في أثناء حياتهم قدراً كبيراً من المعارف والخبرات. وأفضل صورة من صور ممارسات التوعية وأعمقها تأثيراً هي ما ينبني على هذا الأساس، ولذلك يجب أن يكون مضمون التوعية نابعاً من اهتمامات الأفراد الجارية وتجارب الحياة الواقعية.

**حوار مع أحد أبناء القبائل**

دار الحوار التالي مع أحد أبناء القبائل في الهند. وجدير بالذكر أن لاكشمي هو اسم ربة المال وسواراسواتي هو اسم ربة العِلم عند الهندوس، أما الساوكار فهو صاحب الأرض أو التاجر المرابي.

سؤال: هل تعرف من هما لاكشمي وسواراسواتي؟

القبلي: نعم.

سؤال: من هي لاكشمي؟

القبلي: الأرز والثياب والكوخ

سؤال: ومن هي سواراسواتي؟

القبلي: المعارف والمهارات التي لدى الساوكار.

سؤال: إذا خُيِّرت بينهما، فمن تختار؟

القبلي: سواراسواتي.

سؤال: لماذا؟

القبلي: لو كان عند كل امرئ ما يلزم من المعارف والمهارات ما استطاع أحد أن يخدع أحداً، وعندئذ فقط تسود المساواة الحقيقية.[7]

المشاركة

لا يجب أن ننظر إلى ممارسة التوعية على أنها مجرد نقل المعارف من دعاة حقوق الإنسان إلى الآخرين الذي يحتاجون لهذه المعرفة. فليس من اللائق أن نعتبر أن الدعاة لديهم كل المعلومات الضرورية، وأن الأفراد "أوعية فارغة" تحتاج لملئها بالمعرفة. إن دعاة حقوق الإنسان يقدمون الإطار الذي يمكن أن يستخدمه المشاركون المفكرون النشطون المبدعون للنظر في مشكلة مشتركة ومحاولة إيجاد حلول لها. أي أن دور الدعاة هو أن يطرحوا الأسئلة مثل "لماذا، وكيف، ومن؟" ودور الأفراد أن يشاركوا بهمة من خلال الوصف والتحليل وتقديم المقترحات والتخطيط وصنع القرار.

عملية الحوار

ممارسة التوعية القائمة على المشاركة يجب أن تأخذ صورة حوار لا أن تكون أحادية الجانب. إذ أن التوعية القائمة على المشاركة يجب أن تكون عملية تفاعلية، يفكر الأفراد من خلالها في أحوالهم، فيصبحون أقدر على فهم ظروفهم بصورة أشمل، ويستطيعون أن يتصرفوا حيالها ويغيروها. كما تشير عملية الحوار إلى ممارسة المساواة في إطار من احترام الاختلافات بين أطراف الحوار.

الإيمان بالإنسان

عملية الحوار "تتطلب الإيمان الشديد بالإنسان، وبقدرته على صنع الأشياء وإعادة صنعها، وعلى الخلق وإعادة الخلق، أي الإيمان بأن مهمة تحقيق الإنسانية الكاملة حق لكل البشر منذ مولدهم، وليس ميزة

مقصورة على الصفوة".[8] ويجب أن يكون احترام الأفراد عنصراً ضرورياً في التوعية بحقوق الإنسان، حيث أنها تنادي بالكرامة الأصيلة للبشر. أما عدم الثقة في الأفراد فمن شأنه أن يؤدي إلى الإقلاع عن الحوار، والالتجاء بدلاً منه إلى استخدام الشعارات وصيغ المونولوج وإصدار التعليمات.[9]

وتوضح التجربة الواقعية التالية أهمية الاستماع إلى الأفراد عند مساعدتهم على التصرف حيال القضايا التي تهمهم.

> في أوغندا، كانت هناك إحدى القرى التي تعاني من مشاكل عديدة في مجال الصحة؛ حيث تنتشر فيها الاصابة بمختلف أنواع الديدان ومرض الملاريا وليس بها أي عيادات، كما كان بها مدرسة شديدة السوء يكاد يكون مدرسوها غائبين بصفة دائمة. وفي أحد لقاءات أبناء القرية أصر الأهالي على أن الأولوية الأولى عندهم هي إنشاء ملعب لكرة القدم. وقد هالني ذلك الإصرار، لكن المسؤول عن تنمية المجتمع المحلي شجعهم بمنتهى الحكمة على المضي قدماً في هذا الطريق. فأنشأوا الملعب الذي يريدونه وبدءوا يلعبون الكرة وكونوا فريقاً ودخلوا في مباريات مع القرى الأخرى. وكان ملعب كرة القدم نقطة تحول في حياة القرية؛ فقد اكتسب الأهالي الثقة بالنفس، وأصبح لديهم هيكل للتواصل مع بعضهم البعض، وإحساس بأنهم قادرون على أن يغيروا من واقع الحال. ثم التفتوا فيما بعد إلى مشروعات أخرى عديدة "أكثر أهمية". لكن هل كانت هذه المشروعات حقاً أكثر أهمية؟ ألم يكن حدسهم بأنهم بحاجة إلى ما يبني إحساسهم بأنفسهم كمجتمع، ويعزز ثقتهم بأنهم قادرون على تحقيق أهدافهم، أهم من الأولوية التي تصورتها أنا كوافد عليهم من الخارج وهي وجود عيادة صحية؟ لقد كانت هذه الحادثة أيضاً نقطة تحول في إدراكي لكيفية العمل مع المجتمعات المحلية.[10]

## الحث على التفكير النقدي

إذا أردنا تمكين المهمشين من أن يحققوا إنسانيتهم بصورة كاملة، فمن الضروري ألا نقتصر على تسهيل العمل فحسب، ولكن أن نهتم أيضاً بتهيئة التفكير النقدي في نتائج ذلك العمل. ويمثل الحث على تهيئة التفكير النقدي عنصراً ضرورياً في ممارسة التوعية، لأنه لا يسهم فقط في التعلم، ولكن أيضاً فيما يسميه باولو فرير "فعل المعرفة". والمعرفة ليست مجرد التحدث عن الواقع، وإنما هي إدراك التناقضات القائمة في الواقع بما في ذلك مصالح السلطة.[11]

إن "التوعية النقدية" (Conscientization) هي عملية تغيير الفهم المتجزأ للواقع إلى فهم نقدي له. وتمثل تنمية التفكير النقدي جزءًا من عملية التوعية النقدية. وكما يوضح باولو فرير:

> في حالة الوعي وحده تكون قراءتنا ساذجة، أما إذا اقترن الوعي بالتفكير النقدي فإن ذلك يزيد تدريجيا من قدرتنا على النقد.
>
> وهذا ما يوضح لماذا تعزو المجتمعات الأمية، التي تعاني من الظلم، الجوع الذي يدمرها إلى القضاء والقدر أو أمر الله، أما عندما تنهمك في الصراع من أجل البقاء فعندئذ فقط تبدأ في التغلب على التصور الساذج والأسطوري للظاهرة. أي أن التوعية النقدية تغير من إدراك المرء للحقائق على أساس الفهم النقدي لها.
>
> فالمرء الذي وصل إلى مرحلة الوعي النقدي يستطيع أن يدرك بوضوح أن الجوع أكثر من مجرد عدم الأكل، بمعنى أنه تجسيد لواقع سياسي واقتصادي واجتماعي يتسم بالظلم الفادح. فإذا كان هذا الإنسان يؤمن بالله ويصلي له، فلا شك أنه سيركز في دعائه على استلهام القوة منه للتصدي لما يتعرض له من انتقاص من الكرامة. والإنسان الذي وصل إلى درجة الوعي النقدي

ويؤمن بالله يرى الله حاضراً في التاريخ، ولكنه يفهم أن التاريخ مصنوع من أفعال البشر وليس من صنع الله.

كما أن الإنسان الذي وصل إلى مرحلة الوعي النقدي يستطيع أن يربط بين الحقائق والمشاكل، وأن يفهم العلاقة بين الجوع وإنتاج الغذاء، وبين إنتاج الغذاء والإصلاح الزراعي، وبين الإصلاح الزراعي وردود الفعل المناهضة له، وبين الجوع والسياسات الاقتصادية، وبين الجوع والعنف. وأن يرى الجوع بوصفه صورة من صور العنف، وأن يرى العلاقة بين الجوع والتصويت الواعي لصالح السياسيين التقدميين والأحزاب التقدمية، وبين الجوع والتصويت ضد السياسيين الرجعيين والأحزاب الرجعية التي ربما يكون خطابها تقدمياً بصورة خادعة.

كما أن الإنسان الذي بلغ مرحلة شحذ الوعي الضميري يفهم التاريخ ودوره فيه فهماً مختلفاً، فيرفض أن يقف جامداً، ويتحرك ويعبئ الجهود ليغير العالم. ويعرف هذا الإنسان أنه من الممكن أن يغير العالم، ولكن ذلك يستحيل بدون تعبئة جهود البشر الخاضعين للهيمنة. ويعرف جيداً أن قهر البؤس والجوع نضال سياسي لتغيير هياكل المجتمع من أساسها.[12]

مما تقدم يتضح أن التوعية بحقوق الإنسان في آخر الأمر مسألة تتعلق بشحذ الوعي الضميري. فالتوعية بحقوق الإنسان مشروع خلاق من شأنه أن يعطي القوة والمدد، وهي لا تعني النقل الآلي لنصوص الإعلانات والاتفاقيات. ومن الضروري هنا أن نتذكر أن اللغة المستخدمة لتهيئة التعلم في هذا الصدد ربما تعكس هي نفسها صوراً من صور التحيز المستتر، وقد تصبح أداة سيطرة وهيمنة. ويظهر ذلك أكثر ما يظهر في برامج التوعية التي تُجرَى من أجل السكان الأصليين أو القبليين باللغات الرسمية للدولة، لأنه في سياق الإجراءات المعدة لضمان تعليم السكان الأصليين القراءة والكتابة باللغة الرسمية ربما تتقوض دعائم لغتهم وثقافتهم المحلية. إذن فاللغة ليست محايدة، وعلى العاملين في تنظيم برامج التوعية أن يدركوا هذا الأمر جيداً.

## التوعية بحقوق الإنسان، والدعوة لإعمال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

لكي يكون برنامج التوعية بحقوق الإنسان خلاقاً ومصدراً للقوة والمدد، يجب إدماج التوعية في كل جوانب الدعوة إلى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية – مثل تحديد القضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ذات الصلة، ورصد مدى التمتع بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتعبئة الجهود وتنظيمها لضمان إعمال هذه الحقوق. ويمكن أن يقسم الدعاة جهودهم إلى مراحل مختلفة، بحيث يدرجوا التوعية بحقوق الإنسان في كل مرحلة منها. فمن المفترض أن الدعوة للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تشتمل على التفاعل المستمر مع المجتمعات المضارة. وتتسم مراحل الجهود المبذولة بأنها مترابطة مع بعضها البعض وغير منفصلة.

وفيما يلي المراحل المقترحة في هذا الصدد:

### *1. العمل على إشراك المُضارِّين*

لهذه المرحلة أهمية في ضمان إيجاد صلة دائمة بين المضارين والدعاة. وفيها يتمكن أصحاب المهارات القيادية من الظهور من بين القاعدة العريضة. وينبغي في هذه المرحلة أن تساعد التوعية بحقوق الإنسان المجتمع المحلي على اكتشاف طاقاته واستخدامها من أجل العمل بروح الفريق في جهود بناءة خلاقة،

الأمر الذي يتطلب برامج للتوعية تساعد أفراد المجتمع على الإلمام بشؤون القيادة واكتساب المعارف والمهارات ذات الصلة بها. وهذه بالطبع عملية مستمرة يعززها التأمل المتواصل.

### *2. إكسابهم مهارات الرصد*

أهمية هذه المرحلة هي أنها تساعد الأفراد المضارين أو المجتمع المضار على تحديد احتياجاتهم ومشاكلهم. فمثلاً يمكن مساعدة أفراد المجتمع على إجراء البحوث المتعلقة بظروفهم بأنفسهم. على سبيل المثال، قامت مجموعة عمل تعنى بالأوضاع في الولايات الواقعة في شمال شرق الهند بمساعدة الأهالي على إجراء مسح عن سير النظام العام لتوزيع للأغذية أو المحال التي تقدم الأرز المدعوم وغيره من المواد الغذائية المدعومة. وبناء على هذا البحث حدد المجتمع العديد من التغييرات التي يمكن أن تضمن تحسين عمل هذه المحال بصورة أفضل، كما حدد الإجراءات المطلوب اتخاذها على مستويات عديدة. وقد تطلب إجراء هذا المسح اشتراك الدعاة من غير أبناء هذه المجتمعات.[13] ولكن بمجرد اكتساب أبناء هذه المجتمعات مثل هذه المهارات، أمكن استخدامها في القيام برصد دوري لمدى التمتع بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

### *3. النظر إلى واقعهم في الإطار الأوسع*

الهدف من هذه المرحلة هو تمكين الأفراد المضارين أو المجتمع المضار من فهم الصلة بين المشاكل التي يواجهونها والنظم الكبرى (الكلية). ومن المهم هنا التأكد من أن المجتمع يفهم تعقد المشاكل ويصوغ استراتيجياته بناءً على ذلك. فمثلاً يمكن مساعدة الأهالي على تفهم الصلة بين انخفاض أسعار منتجاتهم وبين العولمة. وهذه المرحلة مهمة في بحث السياسات الاجتماعية والاقتصادية، بما في ذلك الميزانية الوطنية من زاوية مدى تأثيرها على التمتع بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

### *4. وضع الأهداف – إجراءات التخطيط والتنفيذ*

ينبغي العمل في هذه المرحلة على مساعدة الأفراد المضارين أو المجتمع المضار على وضع استراتيجية مناسبة لكفالة إعمال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وتتراوح الاستراتيجيات بين تعبئة الجهود للدفع تجاه إقرار قوانين أو سياسات جديدة، أو الاستعداداً للتقاضي، أو لاستخدام مؤسسات وطنية أخرى، أو استخدام آليات الإشراف الدولية أو الإقليمية المعنية بحقوق الإنسان، أو التدخل لدى المؤسسات المالية متعددة الأطراف.

ومن المهم أن نتذكر أن المضارين أو أفراد المجتمع يجب أن يشاركوا في كل المراحل، من تحديد الاستراتيجية إلى تنفيذها واستخلاص الدروس المستفادة من الإجراءات التي يتم اتخاذها.

## التوعية بحقوق الإنسان كمشروع خلاق

وأخيراً ينبغي أن نؤكد على أن التوعية بحقوق الإنسان يجب أن تكون عملية خلاقة، فينبغي أن يتعلم الدعاة من خبرات الجماعات المنخرطة في ممارسات التوعية الخلاقة؛ مثل جماعات المرأة وجماعات توعية الكبار.

وهناك أساليب بسيطة يمكن أن تحفز التفكر وتسهم في التعلم والتمكين، وفيما يلي بعض الأمثلة لها:

- ***مناقشة حول التنفس***

في أحد برامج التوعية، طُلب من المشاركين وهم جماعة من أهالي الريف أن يذكروا متى يحسون أنهم يتنفسون بحرية، ومتى يشعرون بالاختناق. وكانت هذه هي المرة الأولى التي يفكر فيها معظمهم في هذا الأمر. وجاءت الردود لتطرح قضايا مهمة لمزيد من النقاش، فقال المشاركون إنهم عادة يتنفسون بحرية عندما يكونون سعداء أو عندما يلعبون أو عندما يكونون مشتركين في عملية خلاقة أو مع أصحابهم. ولكنهم يشعرون بالاختناق عندما يكونون في ضائقة مالية وعندما يمرض أطفالهم وفي الأزمات المشابهة. وذكر بعضهم أن الفقراء أكثر تعرضاً لاستنشاق الهواء الملوث بسبب المهن التي يعملون بها، ومن هنا طُرح موضوع أحوال العمال وغيرهم من الجماعات المحرومة من خلال المناقشة حول التنفس. كما أُشير إلى أن النساء دائماً يشعرن بالاختناق لأنهن يواجهن الكثير من القيود، ويتحملن الأعباء الأسرية. وأشار أحد المشاركين إلى أن الرجال في مجتمعهم عندما يريدون من المرأة أن تصمت أو أن تكف عن التعبير عن رأيها يقولون لها عادة "لا تتنفسي". وهكذا أيضاً طُرحت قضايا متعلقة بالتمييز على أساس النوع (ذكر/أنثى) من خلال هذه المناقشة.[14]

وهذا المثال مجرد تدريب بسيط يمكن من خلاله التعامل مع معظم جوانب الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

- ***فهم التمييز بين الطبقات من خلال رسم خريطة للقرية***

في برنامج آخر من برامج التوعية نظم في إحدى القرى تم رسم خريطة لموارد المياه الموجودة بإحدى القرى لاستثارة المناقشة حول التمييز بين الطبقات الموجودة في المنطقة. فطُلب من المشاركين بحث سياسات التحكم في موارد المياه في القرية. وأدت هذه المناقشة إلى تحليل لمفاهيم النقاء والتلوث و"الأونش" (الطبقة العليا) و"النيش" (الطبقة الدنيا). وقدم المدربون للمشاركين معلومات حول الطبقات المختلفة في المنطقة، بالإضافة إلى منظور تاريخي عن النظام الطبقي في الهند.[15]

- ***استخدام القصص والحكايات الرمزية***

تستخدم إحدى الجماعات النسائية المهتمة بقضايا صحة المرأة الحكاية التالية من حكايات الحيوان الرمزية لاستثارة المناقشة بين الريفيات الفقيرات فيما يتعلق بالظلم الذي يعانين منه دائماً. وتنتمي شخوص هذه الحكاية لعالم الحيوان، وهي "الأخت إوزة" و"العم ثعلب":

تتسبب الأخت إوزة في مضايقة العم ثعلب صاحب الغنى والنفوذ، فتؤخذ إلى مخفر الشرطة حيث يوجه لها المفتش ثعلب عدة تهم لا تكاد تفهم أياً منها. ثم تستدعى للمثول أمام محكمة

القضاء الجزئي، وعلى الرغم من كل أقوالها التي تحاول بها إثبات براءتها فإن القاضي ثعلب يصدر حكماً بإدانتها. فتغضب الأخت إوزة من الظلم الذي لحق بها وتقرر أن تستأنف أمام المحاكم العليا لتسترد حقها. وحيث أنها لا تملك من المال إلا القليل فإنها ترهن كل ممتلكاتها القيمة عند المرابي ثعلب الذي يقرضها بفائدة باهظة. لكن القاضي ثعلب قاضي المحكمة العليا يتهم الأخت إوزة بميول وأفعال مناهضة للمجتمع ويقرر أن أمثالها خطر على نسيج المجتمع نفسه، فيصدر ضدها حكماً قاسياً بالسجن سنتين عقاباً لها.

تُقرأ هذه الحكاية على المشاركات بأسلوب قراءة مسرحية بحيث يقوم نسوة مختلفات بأداء أصوات الشخصيات المختلفة. ويُعرض عليهن ملصق يصور المشاهد المختلفة ليراه الجميع بوضوح.

وقد تبدو القصة ساذجة، ولكنها بالطبع تمس وتراً مألوفاً لدى الريفيات الفقيرات، اللاتي يحكين روايات مماثلة من واقع حياتهن. وتبدأ المشاركات في تحليل القصة ويخلصن إلى أن الفقراء غالباً لا يدركون ما هم بصدده حتى تتسنى لهم فرصة مجابهة النظام. وعندما يسعى أحد الضحايا وحده لإقامة العدل كما فعلت "الأخت إوزة"، فإنه يجد نفسه مقهوراً مهيض الجناح. والخطأ الذي وقعت فيه الأخت إوزة هو أنها خاضت معركتها وحدها، فلو كان معها دعم من أقرانها الذين مروا بتجارب مماثلة فلربما تغيرت النتيجة.[16]

- ***تدريبات المحاكاة***

يمكن استخدام تدريب المحاكاة التالي لاستثارة النقاش حول مسألة الانتفاع بالموارد؛ وهي مناقشة هامة في مجال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ويمكن إجراء التدريب بمشاركة عشرين فرداً، ويحتاج إلى فرخ ورق أبيض كبير، وأربعة وعشرين قلماً من أقلام التلوين مختلفة الألوان.

الخطوة الأولي: تقسيم المشاركين إلى ثلاث مجموعات، الأولى تسمى "تفاحة" وبها شخصان، والثانية "مانجو" وبها ستة أشخاص، والثالثة "موز" وبها أحد عشر شخصاً.

الخطوة الثانية: يُعطى الفرخ الأبيض وكل الأقلام لمجموعة التفاحة، وتطلب من عضويها أن يستخدما أكبر عدد ممكن من الأقلام ليرسما شيئاً خلال خمس دقائق.

عندما تنتهي مجموعة التفاحة، يُعطى نفس الفرخ والأقلام غير المستخدمة لمجموعة المانجو، ليرسموا في المساحات الباقية، لا على رسم المجموعة السابقة. ولا يتجاوز وقت هذه المجموعة ثلاث دقائق يجب أن ينتهوا فيها من رسمهم.

بعد الدقائق الثلاث، يُعطى الفرخ والأقلام غير المستخدمة إلى مجموعة الموز، ليرسموا على المساحة الفارغة التي لم تستخدمها المجموعتان السابقتان. والوقت المسموح به لهذه المجموعة دقيقتان.

وأخيراً تُعرض اللوحة على الجميع ليروها. وينبغي هنا أن يقوم المدرب بتحليل العملية بأن يسأل المشاركين "ما الموارد التي كانت متاحة للمجموعة وكيف تم توزيعها؟" ثم تمضي المناقشة حتى تصل إلى مسألة توافر الموارد والصراعات التي تنشأ بسبب الطلب على الموارد الطبيعية وغيرها من أنواع الموارد.[17]

هذه مجرد أمثلة قليلة تبين نمادج لأنشطة مبتكرة عديدة يمكن للدعاة أن يكيفوها لإجراء عملية التوعية بحقوق الإنسان. ويمثل صياغة ممارسات التوعية المبتكرة وتنفيذها جزءًا من التحدي الذي يواجه دعاة إعمال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

**المؤلف:** د. ج. رافيندران.

## الهوامش

(1) See, for example, Richard Pierre Claude, Popular Education for Human Rights: 24 Participartory Exercises for Facilitators and Teachers (Amsterdam and Cambridge: Human Rights Education Associates, 2000).

(2) Ibid.

(3) Taken from Neil Postman and Charles Weingartner, Teaching as a Subversive Activity (London: Penguin, 1971).

(4) Roger I. Simon, "Empowerment as a Pedagogy of Possibility," Language Arts 64, no. 4 (April 1987).

(5) Kathleen Rockhill, "Gender, Language and the Politics of Literacy," in Cross-Cultural Approaches to Literacy, ed. Brian V. Street (Cambridge: Cambridge University Press, 1993), 156-75.

(6) Adapted from Ann Hope, Training for Transformation-A Handbook for Community Workers (Gweru, Zimbabwe: Mambo Press, 1984).

(7) Rahman, Md. A., "Theory and Practice of Participatory Action Research," WEP 10/Wp.29 (Geneva, ILO 1983), quoted in Stan Burkey, People First: A Guide to Self-Reliant Participatory Rural Development (London: Zed Books, 1993), 62.

(8) Paulo Freire, Pedagogy of the Oppressed, translated by Myra Bergman Ramos (London: Penguin, 1972).

(9) Ibid.

(10) Hope, op. cit., 71.

(11) Paulo Freire, "Dialogue is not a Chaste Event," in Comments by Paulo Freire on Issues in Participatory Research, compiled by Paul Jurmo (University of Massachusetts, Amherst: Center for International Education, 1985).

(12) Paulo Freire, Letters to Cristina-Reflections on My Life and Work (New York: Routledge, 1996).

(13) Narrated by N. B. Sarojini, SAMA, New Delhi.

(14) From a workshop organized by NIRANTAR, A Centre for Women and Education, New Delhi.

(15) Windows to the World-Developing a Curriculum for Rural Women (New Delhi: NIRANTAR, 1997).

(16) T. K. Sundari Ravindran, "Subverting Patriarchy": Workshops for Rural Women (Tamil Nadu, India: Rural Women's Social Education Centre, 1997).

(17) his exercise was suggested by N. B. Sarojini, SAMA, New Delhi.